دراسة في مخطوطات رسائل ضياء الدين بن الأثير

د. علي حسين علي
مدرس
جامعة كركوك – كلية التربية

الملخص

تجدر الإشارة إلى القول أن ما تم نشره حتى اليوم من رسائلٍ لأبن الأثير هو ليس كل ما هو معروف انه محفوظ في مكتبات العالم المعروفة اليوم . و هذا يعني أن الرسائل غير منتظمة في تنضيدها في المجاميع المعروفة وان بعض المجاميع تحتوي رسائل غير موجودة في المجاميع الأخرى بينما بعضها موجود فيها ، واغلب الظن ان تتابع الرسائل كما هي في المخطوطات ، جاء اعتباطياً منتقى دون تزمين أو تمييز مكاني لمنشئ كتابتها ومعنى هذا انها ربما تواردت بتداعي الذاكرة ، وهي توحي ان ضياء الدين بن الاثير جمعها ونقلها بمجرد جمع اوراق الرسائل الى بعضها دو ن منهج . ومن هنا فأن الأمر يتطلب جهدا إضافيا لغرض ترتيب الرسائل زمنيا كرونولوجياً (Cronological) مع تحديد مواضعها من المجاميع المخطوطة المعروفة ، ولابد أن يتم ذلك الترتيب إما ضمن دراسة خاصة أو الأفضل ضمن تحقيق جديد يجمع مخطوطات الرسائل بشكل دقيق منسجم في أدائه . ومثل هذا الامر من حيث دراسته تكتنفه التعقيدات الكبيرة ولكن غاية في القيمة عندما نحاول ان نصل الغاية في اعداد تاريخ متكامل للفترة .

وفي العصر الحديث تستدعي الرسائل من يتمكن من اعادة صياغتها واستخراج ثمينها أو الاشارة اليها وتمثل ذلك في دراسات الاستاذ انيس المقدسي مشيراً الى جانبٍ من القيمة التاريخية التي أتت على ذكرها الرسائل ، ثم من تلاه من الباحثين العراقيين لتبيان قيمة واهمية الرسائل ، وبالتالي يمكن ان تكون قد مثلت دائرة من دوائر التاريخ في عصوره الوسطى ، مضيئة لجوانب هامة من العصرين الاتابكي والأيوبي

المقدمة :

ضعهيهتم البحث بدراسة مخطوطات الرسائل التي كتبها اديب وبلاغي بالدرجة الاولى وسياسي ورجل دولة بالدرجة الثانية ، كونه يمتلك ثقافة واسعة أهلتهُ للبحث عن سبيلٍ به بوصفهِ مثقفاً راغباً في الوصول الى مراكز في حاشية هذا أو ذاك من الامراء في الموصل علّهُ يحضى ببعض أهتمامهم ، وبالفعل تم له ما أراد وتدرج حتى تمكن من الاتصال بعميد البيت الأيــوبي (السلطان صلاح الدين) ودخل ضمن كادر الادارة الكتابي في الدولة الصلاحية ثم استقر كاتباً ووزيراً لأبنه الملك الافضل في دمشق ، وابن الاثير معروف من حيث انتسابه الى اسرة ابن الاثير العربية الشيبانية التي سكنت الموصل واطرافها ولعبت دوراً في نهاية القرن السادس وبداية القرن السابع الهجريين / الثاني والثالث عشر الميلاديين ، ضمن الادارة في بعض الاتابكيات او الامارات في الموصل ودمشق وحلب.

الرسائل لم تدرس من حيث قيمتها التاريخية وجرت محاولات غير متكاملة لوا في إطارها التاريخي لمرة او مرتين ، ونعتقد انها تتضمن قيمة تاريخية كبيرة جداً بحاجة إلى ان تُستخلص وتعتصر من ثنايا نص الرسائل الإنشائية المطولة كونها تمتلك قيمة تاريخية كبيرة .
ومن اللافت للنظر ان الدراسات النقدية الدقيقة للتاريخ والحضارة العربية الإسلامية قد استهل البحث فيها المستشرقون وموضوع دراستنا لايشذ عن هذا السياق حيث ان اول من اهتم بالقيمة التاريخية للرسائل هم المستشرقون ايضاً بدءاً من مارجوليوث (D. S. Margoliouth) وانتهاءً بكلود كاهن (C. Cahen) ثم ثنى بعض الباحثين العرب الجيدين **مثل انيس المقدسي الذي حاول دراسة بعض هذه الرسائل بشكل عام اولاً ثم** بالنسبة لقيمة دراستها للفترة الايوبية ثانياً ، وذلك من خلال تحقيق نصوص بعضها وصولا الى استكمال دراستها، ومع كل ذلك تبقى الجهود ابتدائية ومقدمات مشاريع اكبر وأوسع خدمة لتراثنا العربي الاسلامي .
هنالك تزداد الحاجة يوماً بعد يوم الى دراسة الرسائل دراسة موضوعية تأويلية دقيقة يُستخلص منها زبدتها التاريخية نظراً لما عليه دراسات هذه الحقبة من الزمن، وهي القرن السادس وبداية القرن السابع الهجريين / الثاني والثالث عشر الميلاديين في اقليم الجزيرة الفراتية وبلاد الشام من حاجة الى التفاصيل الصغيرة رغم انها اكثر الفترات - في نظرنا - مما توفرت لها كثرة التفاصيل التاريخية الاصيلة.

مخطوطات الرسائل

سنتناول فيما يلي الحديث عن نسخ مخطوطات الرسائل التي تركها ضياء الدين بن الأثير والتي مثلت مجموعة من الكتابات التي كان قد أنشأها ابن الأثير في حياته الأدبية والإدارية في الموصل وبلاد الشام وأعالي الجزيرة ، تعبيراً عن رغبات مخدوميه أو توصيفاً لذاته أو أنها جاءت عن بعض مصادره الخاصة .

جميع الرسائل في الأصل كتبت بقلم ضياء الدين بن الاثير ، اما رسائل رسمية موجهة من بعض السلاطين أو الملوك أو الأمراء في المنطقة لمناسبات عدة ، إو رسائل اجتماعية واخوانية لأعيان وشخوص عصره متناولة لأغراض شتى أو هي نتاج فني نثري أدبي رفيع من إنشاءه(١).

(أ) البحث عن رسائل ابن الأثير في الدراسات المعاصرة

لا يعرف حصراً عدد الرسائل التي أنتجها ابن الأثير ولا عدد الأجزاء أو المجلدات التي إحتوتها بين طياتها بوصفها مجاميع وفقاً لتقسيماته هو ، سوى ما أشار إليه ابن خلكان(٢) (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢م) من أن لضياء الدين بن الأثير " ديوان ترسل في عدة مجلدات والمختار منه في مجلد واحد " . وهنا ينشأ سؤال : إلى أين آل الزمان بتلك المجلدات وكم وصل إلينا منها محفوظاً في المكتبات الشهيرة أو الخاصة ؟
رسائل ابن الأثير التي أنتجها قلمه لا يمكننا تحديد عددها ولا معرفة عدد المجلدات التي احتوتها أصلاً ، قبل أن تنسخ من قبل عددٍ من النساخ حالها حال أي مخطوط عربي آخر. ولم نعرف منذ زمن ابن خلكان وحتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي من تحدث بالتفصيل وتناول بالدرس تلك الرسائل ولا تطرق إلى مخطوطاتها ونسخها(٣).
وهكذا ، وإلى قبيل أن يسدل الزمان ستاره على القرن التاسع عشر الميلادي ، لم نشهد أية دراسة مستفيضة تعرفنا بالرسائل ومخطوطها ، ونسخ المخطوط حتى قام المستشرق الإنكليزي مارجوليوث (٤) (١٢٧٥-١٣٥٩ هـ / ١٨٥٨-١٩٤٠م) بالإشارة إليها في بحث ألقاه ضمن أعمال مؤتمر المستشرقين العاشر في ليدن سنة (١٣١٤ هـ / ١٨٩٦م) معتمداً فيه على مخطوط حوى بعض تلك

الرسائل في مكتبة البودليان (٥)(Bodleian) تحت رقم (pococke 322) والتي لا تضم إلا الرسائل التي أصدرها أو كتبها ضياء الدين بن الأثير في سنوات حياته الأخيرة (٦) .
إلا أن مارجوليوث لم يعرف سواها ، ولم يحدد عدد الرسائل التي احتوتها مجلدة المخطوطة(٧) ، مع هذا برزت قيمة كتابات ابن الأثير بوصفها مصدراً تاريخياً هاماً عن طبيعة عصره ، ومثلت دعوة للتنبه والالتفات لنسخ مخطوطات الرسائل الأخرى حيثما يمكن أن توجد.
وبعدها قدَم الأستاذ حبيب زيات دراسة سنة (١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩م) لإحدى نسخ المخطوط بعنوان " دفائن الخزائن : الجزء الثاني من ترسل الصاحب ضياء الدين بن الأثير"، استعرض فيها جميع عناوين رسائل المخطوطة وعددها (٥٥) رسالة مع تعليقات وافية لبعض الرسائل(٨).
وهذه النسخة المخطوطة بحوزة خزانة مخطوطات الجامعة الأمريكية ببيروت تحت رقم (2TA 76D62، MS 892) ، تحتوى على (٢٣٠) صفحة ، وفي كل صفحة تارة (١٥) سطراً وتارة (١٤) سطراً . وفي طياتها مواضع ممحاة وألفاظ غاب رسمها بفعل تقادم الزمن ، وفي الورقة الأخيرة كتابة في ظهرها هي : تم الجزء الثاني من ترسل المولى الصاحب ضياء الدين رحمه الله ، بتاريخ غرة صفر من سنة (٦٥٦ هـ / ١٢٥٨م)(٩) .

والى جانب إسهامات الزيات أعلاه ، فإنه قد نبه إلى أهمية مخطوط الرسائل هذا، لقربه من حياة المؤلف ، فقد نسخ بعد وفاة المؤلف الأصلي ضياء الدين بن الأثير بـ (١٩) سنة تقريباً ، عاداً هذه الرسائل أصول سجلات التاريخ وداعياً لأن يعول عليها في الدراسة للفترة ونقدها ومعارضتها واستطلاع الأحوال التي قصّر المؤرخون في وصفها أو غضوا الطرف عن ذكرها(١٠).

وفضلاً عن إسهامات مارجوليوث وحبيب زيات السابقة ، جاءت دراسة أخرى فصلت قيمة الرسائل بوصفها مصدراً تاريخياً أعدها المستشرق الفرنسي كلود كاهن(١١) في عمله المميز " مراسلات ضياء الدين بن الأثير - قائمة برسائل ونصوص لوثائق رسمية" المنشور باللغة الفرنسية في مجلة مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية (Bulletin of the School of Oriental and African Studies) بجامعة لندن سنة (١٣٧٢ هـ / ١٩٥٢)(١٢) . هذه الدراسة مثلت القاعدة التي انطلق منها من أراد معالجة وإبراز قيمة كتابات ابن الأثير بوصفها مصدراً تاريخياً هاماً عن مرحلة الحروب الصليبية .

ومن أحسن ما قدمته هذه الدراسة في طياتها حديثها عن نسخ المخطوطات الخاصة بالرسائل مبينة لأهميتها وأماكن وجودها ، فضلاً عن الإشارة إلى تزمين الأحداث التي عالجتها تلك المخطوطات من حياة المؤلف . وهذه المخطوطات هي :
(١) أشار إلى المخطوطة السابقة، أي مخطوطة مكتبة البودليان، والتي احتوت رسائل الحقبة الأخيرة من حياة المؤلف(١٣) .
(٢) مخطوطة طوبقو سراي تحت رقم " Top-Kapu 2630 " والتي لم يتوفر لكاهن فرصة الإطلاع عليها ومن ثم دراستها(١٤) .
(٣) قطعة أخرى " مجموعة رسائل " في برلين تحت رقم "Ahlwardt Berlin 8629"(١٥).
(٤) مخطوطة أخرى تخص فترة لاحقة من حياة المؤلف ، كانت قد اقتنيت من قبل مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية " School of Oriental and African Studies " بلندن، وهي محتواة مع مخطوطة أخرى في مجلد واحد(١٦) .
(٥) مخطوطة أخرى ، تحتوي على (٢١٥) رسالة ، تتعلق بالحقبة المتقدمة من حياة ضياء الدين الشخصية حتى عام (٦١١ هـ / ١٢١٤م) تقريباً (١٧) . هذه المخطوطة ضمن مجموع شامل لمخطوطات ترجع إلى القرن الحادي عشر وحتى الخامس عشر الميلادي في المكتبة الوطنية بباريس .

والجدير بالذكر ، أن هذه المخطوطة تعود لشخص عراقي (؟) كان قد وضعها لفترة قصيرة جداً في عهدة المكتبة الوطنية بباريس ثم عاد فاستردها (!) لذلك لم يتح لكاهن من الوقت أكثر مما يسمح بتسجيل عناوين الرسائل ، الأمر الذي أعاق دراسته لها(١٨).

ونبه كاهن إلى صعوبة إمكانية اجتماع رسائل ابن الأثير بمجملها ، لأن الكثير منها لم يتم حفظه(١٩) ، لكنه أشار -في الوقت ذاته- إلى إمكانية الوقوف على صورة شاملة لحياة ابن الأثير إذا ما أمكن الجمع بين مخطوطة باريس الخاصة بحياة المؤلف المتقدمة ، مع المخطوطتين في إنكلترا (جامعتي لندن واكسفورد) المتضمنتين للجزء الآخر والأخير لمراسلات ابن الأثير(٢٠) .

هذا إلى جانب إعطائه خلاصة لعدد معين من الرسائل، مشيراً إلى أحداث تاريخية بارزة من حياة المؤلف(٢١) ، كما استشهد بأربعة نماذج – باللغة العربية – لتقاليد بقلم ابن الأثير جاء الأول بعنوان " تقليد كتبه باسم والٍ "(٢٢) .

والغريب أن هذا التقليد بالذات الذي أشار إليه كلود كاهن لم نعثر عليه ضمن ما تم نشره ، وليس متضمناً في أي من مجاميع رسائل ابن الأثير التي تم نشرها لاحقاً ، مما يعني ولا نريد أن نستبق الحديث أن ما تم نشره حتى اليوم من رسائل لابن الأثير هو ليس كل ما هو معروف أنه محفوظ في مكتبات العالم المعروفة اليوم.

بعبارة أخرى ، فإن مخطوطة اكسفورد قد اشتركت برسائل ضمن المجموع المتوفر لدينا في حين انفردت برسائل لا يتوفر وجودها في المجموع أعلاه .

ومن ثم ظهرت نشرة لنسخة مخطوطة من المخطوطات بتحقيق المقدسي في سنة (١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩م) ، وبعدها جاءت نشرة هلال ناجي لنسخة مخطوطة أخرى من مجاميع المخطوطات حققها سنة (١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢م) ، وأخيراً جاءت نشرة هلال ناجي و نوري القيسي لنسخة مخطوطة ثالثة من مخطوطات الرسائل حققت سنة (١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢م) ، والتي سوف نتحدث عنها بالتفصيل في الصفحات التالية .

بعد ذلك ، انتظرت رسائل ابن الأثير جهود ليونز (٢٣) ليكون واحداً من أوائل – بعد المقدسي في دراسته سنة(١٣٨٥هـ /١٩٦٥م) - من سخرها ووضعها في صياغته لسيرة صلاح الدين الأيوبي(٢٤) ، التي أنتجها مع زميل له (٢٥) في سنة (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م) والذي كان بمقدوره أن يتبين بجلاء طبيعة الدور الذي لعبته الرسائل في عرضها لبعض الأحداث الهامة ، أما بالنسبة لأهميتها بوصفها مصدراً تاريخياً فقد أبدى ليونز اهتمامه لهذه المراس**لات العديدة التي تركها ابن الأثير وبالتالي جاء استخدامه المتكرر لها في ثنايا كتابه**[٢٦].

أعتمد ليونز في كتابه آنف الذكر فيما يتعلق بالرسائل على " مخطوطة نور عثماني (اسطنبول) ذات الرقم 3745 والتي فيها تفاصيل سيريه ذاتية (Biography) ترينا بأن المؤلف غادر الموصل لكي يلتحق بخدمة الأفضل" (٢٧) .

مع العلم بأنه ليس في كلام ليونز ولا في متن مقدمته التي اعتمدها في كتابه عن صلاح الدين ، أية إشارة إلى كون المخطوطة التي تحمل هذا الرقم هي رسائل لضياء الدين بن الأثير(٢٨) . ولا يبدو أن ليونز يربط تلك الرسائل بضياء الدين بأي شكل من الأشكال باستثناء ما أشار اليه كما نقلناه أعلاه من أن هنالك تفاصيل في الرسائل توضح أن مؤلفها غادر الموصل للالتحاق بالملك الأفضل .

ليونز هنا لا يجزم إطلاقاً ولا يريد التورط بالجزم من أن الرسائل لابن الأثير ، ولم يصرح بالأسباب التي أعاقته عن ذلك ، ويكتفي بهذه الإشارة التي ذكرناها . ونحن نتساءل عن طبيعة الشكوك التي في نفس ليونز وماهيتها تجاه مصداقية أو تجاه الحسم في نسبة الرسائل لابن الأثير ؟

ويبدو أن نسبة المخطوطة إلى ضياء الدين بن الأثير جاء نتيجة اجتهاد بحثي موفق قام به محققا الرسائل السيد هلال ناجي والدكتور نوري حمودي القيسي فقد ورد في مقدمتهم للتحقيق " مخطوطة هذه الرسائل التي ننشرها اليوم أول مرة . غفل من أسمها وأسم مؤلفها ، وغفل عن تاريخ

نسخها وأسم ناسخها . اصلها الفريد محفوظة في مكتبة نور عثمانية باسطنبول وعليه رقمان، رقم قديم هو ٣٧٤٥ ورقم جديد هو ٣٢٢٤ ... ولتمرسنا بأسلوب ضياء الدين بن الأثير في رسائله ، فقد جزمنا في القراءة الأولى بأنها منها – رغم خلوّ المخطوط من أسم مصنفه – غير أن هذا الجزم كان – من الناحية العلمية – بحاجة إلى الإثبات" (٢٩) وقد قدم المحققان أدلتهم في (٤) نقاط منطقية قوية (٣٠)، لا تدع مجالاً للشك بأن الرسائل هي لضياء الدين بن الأثير(٣١).

توظيف الرسائل وطريقة ترتيبها ، تعطي توصيفاً للحالة التي عاشها صلاح الدين وهو يدير عملية الجهاد مع الافرنج، هذا التوظيف توفر على ثلاث محطات هي (أ) في حطين في كتاب البشارة للخليفة العباسي(٣٢). (ب) مع بداية حصار عكا اذ الخطر الصليبي الجاثم واضح للعيان ، لكن صلاح الدين كان يمتلك التفاؤل لتطويقه(٣٣). (ج) المرحلة الأخيرة وهي التي لم يعد فيها صلاح الدين قادراً على إخفاء حالة اليأس والضعف التي كان عليها ويظهر استنجاده الكبير والتماسه لديوان الخلافة ، وهي مرحلة قبيل سقوط عكا(٣٤).

(ب) نشر المخطوطات وتحقيقها

كان للدراسات الأولى التي تناولت مخطوطات رسائل ضياء الدين بن الأثير بالدرس والإشهار قيمتها في أن وجهت أو وضعت الاهتمام بتلك الرسائل ووفرت جواً لتناولها بالتحقيق والنقد والدرس. ثم كانت بعد ذلك محاولات جيدة لنشر ما يمكن نشره من مخطوطات تلك الرسائل بقدر ما توفر من معلومات ببلوغرافية عن وجود الرسائل وأماكنها.

وقد أسهمت جهود النشر التي سنأتي على ذكرها لاحقاً ، فضلاً عن توفيرها ما يمكن توفيره من نصوص هذه الرسائل للمطالعة والدرس ، في تقديم بعض الآراء والتحليلات في حيثياتها وهي على قلتها مفيدة للاستطراد في البحث والدرس المتعلق برسائل ابن الأثير وما تتضمنه من دلالات على مستويات الفعل التاريخي المختلفة لعصر ضياء الدين بن الأثير. ويمكن عرض محاولات النشر للرسائل تلك بالشكل التالي :-

(١) نشرة المقدسي

كان من أوائل من أهتم وشمر لتحقيق ما توفر من مخطوطات الرسائل الأستاذ أنيس المقدسي(٣٥)، ضمن جهود ثمينة له في أحياء التراث العربي الإسلامي.

لا نعلم بالتحديد بداية اهتمامه بدراسة الرسائل، لكنه أعرب في مناسبات عن إعجابه بما لهذا الكتاب من مقدرة بيانية وإنشائية(٣٦). ومن دون شك أنه بدأ بدراسته للرسائل بفترة ليست بالقليلة محاولاً نشرها خدمة للأدب والتاريخ ، ولعل ذلك نجم عن متابعة للدراسات السابقة التي سبق وتحدثنا عنها والتي صدرت في نهاية القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين رغم أنه لم يشر إلى أي منها في هوامشه نظير دراسة مارجوليوث وكلود كاهن .

وقد صرّح باهتمامه بالرسائل عندما طلع على الباحثين والدارسين بمناقشة للموضوع في تقرير نشره في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق سنة (١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦م) بين فيه محتوى ومواصفات مخطوطة في مكتبة الجامعة الأمريكية ببيروت وصفها " بالجزء الثاني من رسائل ابن الأثير " وهي مجموعة من الرسائل تم نسخها في مجلد يعود تاريخه لسنة (٦٥٦ هـ / ١٢٥٨م)[٣٧].

وخلال عمله ، ما بين بدء اهتمامه بالرسائل وإصداره لشيء منها محققاً للجمهور، سعى إلى أن يحصل على عون الباحثين العرب بهذا الشأن في العثور على نسخة ثانية، أو أية مجموعة أخرى من الرسائل فيما هو موجود من فهارس المخطوطات والمطبوعات المتوفرة أو ما يتوفر من مخطوطات في مجاميع خاصة .

ومهما يكن من أمر ، يبدو أن المقدسي لم يحصل على إجابة شافية لطلبه ، ولم ترد إليه معلومات مفيدة بالشأن المذكور أعلاه . إلا من قبل المحقق المعروف الأستاذ صلاح الدين المنجد [٣٨] ، الذي أشار عليه بوجود نسخة لمجموعة من الرسائل في مكتبة أحمد الثالث في أسطنبول كتبت سنة (٦٥٥ هـ / ١٢٥٧م) وأخبره بأن هنالك صورة بالمايكروفلم من تلك النسخة في القاهرة ، ويبدو أنه أرسل نسخة المايكروفلم تلك إلى المقدسي الذي سيعتمد عليها للنشر لاحقاً [٣٩] .

وقد تمكن المقدسي من الحصول على صورة من مخطوطة (اسطنبول) ، التي هي مجموعة كبيرة من الرسائل بعنوان " ترسل المولى الوزير الصدر الكبير الصاحب الإمام العالم الفاضل الكامل يتيم دهره وفريد عصره ضياء الدين بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير الجزري " ، وفي خاتمة هذه النسخة ورد " نجزت رسائل الوزير الأوحد العالم الفاضل ضياء الدين المعروف بابن الأثير ... وتمت في سحر يوم السبت الخامس من رمضان المبارك سنة خمس وخمسين وستمائة " ١٢٥٧م [٤٠] .

قام المقدسي خلال السنوات الأربع ما بين بداية اهتمامه بالرسائل ثم نشرها للجمهور (١٣٧٦-١٣٧٩ هـ / ١٩٥٦-١٩٥٩م) بدراسة المخطوطتين [مخطوطة الجامعة الأمريكية المرموز لها في بحثنا بمخطوطة (بيروت) [٤١] ومخطوطة مكتبة أحمد الثالث السالفة الذكر المرموز إليها بمخطوطة (اسطنبول)] ومقارنتهما والمقابلة بين نصيهما محاولاً بالدرجة الأولى أن يحدد الأجزاء أو أي جزء تمثلها كل مخطوطة وإذا ما كان بينهما تشابه أو تكرار في الرسائل ومدى صلة الواحدة بالأخرى وما إذا كانا بقلم واحد أو أكثر .

وخلص من ذلك كله إلى أن مخطوطة (اسطنبول) لا يمكن الجزم بأنها هي الجزء الأول من مجموع رسائله [٤٢] التي سبق أن أشار ابن خلكان أنها في مجلدات اذ أنه كما علمنا أن نسخة (بيروت) يوجد زعم بشكل نصٍ على غلاف المجموع أنها الجزء الثاني، وقد تأكد للمقدسي أن المخطوطتين ليستا بقلم واحد ورغم أن الفرق بين نسخهما سنة واحدة فإن ليس بالضرورة أن إحداهما تتم الأخرى من حيث التسلسل أو الترتيب [٤٣] وبالتالي فهما ليس من نتائج قلم واحد أو قصبة واحدة .

ولكن دونما شك أن كل واحدة منها تختلف في رسائلها عن الأخرى وإن كان المقدسي قد زعم بوجود تكرار في بعض الرسائل بين المخطوطتين وخلص إلى استنتاج بعد أن رفض إمكانية أن تكون مخطوطة (اسطنبول) هي الجزء الأول ، وإن تتمتها مخطوطة (بيروت) وبناءً على ظنه بتكرار بعض الرسائل أن مخطوطة (اسطنبول) من المحتمل أن تكون هي المجلد المختار من مجمل مجلدات رسائل ضياء الدين بن الأثير كما أشار إلى ذلك ابن خلكان[٤٤] .

ولكن هذه الفرضية تسقط اذ سرعان ما يبرز عمل الباحث العراقي هلال ناجي فيما بعد سنة (١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢م) والذي أكد أن أي تكرار في الرسائل بين المخطوطتين غير موجود إطلاقاً وأن ما ذهب إليه المقدسي غير دقيق ولا وجود له[٤٥] ، ولكن تبقى النقطة الهامة التي أشار إليها المقدسي وهي أن اختلاف الخط لا يتيح ترويج احتمال أن نسخة (اسطنبول) هي الجزء الأول لنسخة (بيروت) الجزء الثاني .

إلا أن المقدسي الذي كنا نتوقع منه أن يحقق لنا رسائل مخطوطة مكتبة الجامعة الأمريكية التي كان قد عرضها لنا يوماً في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق في تموز سنة (١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦م) نجد أنه عافها إلى مخطوطة مكتبة أحمد الثالث ذات الرقم ٢٦٣٠[٤٦]. وتعهدها في التحقيق معتمداً على النسخة الواحدة المهمة التي احتوت على (١٦٩) رسالة، مكتوبة بخط نسخي جيد وقد شجع المجمع العلمي العراقي على نشرها وتعهد بقسم كبير من نفقات طبعها سنة (١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩م) .

ومما تجدر الإشارة إليه ، أن التحقيق صاحبته العديد من الصعوبات والعقبات ، منها أن عناوين بعض الرسائل غير مذكور[٤٧] ، وبعضها مقطوع[٤٨] وبعض منها يبدأ من حيث سقطت العبارات الساقطة التي لا نعلم حجمها[٤٩] . كما أن المحقق لم يستطع قراءة بعض الكلمات والإشارات الغامضة لصعوبة تشوبها [٥٠]وهو أمر بحاجة إلى إعادة النظر . وحاول المقدسي أن يوضح بعض الأماكن

الجغرافية [٥١] ويعرف بعض الشخصيات الغامضة [٥٢] فضلاً عن أن له تصويبات محدودة على الناسخ[٥٢] . ومع ذلك فإنه لم يبذل جهده في محاولة ترتيب الرسائل زمنياً وتركها كما وردت في المجموع، ولا نعلم كم هي مرتبة زمنياً حسب صدورها عن قلم ابن الأثير ؟

ويكفي تقييماً لعمل المقدسي ومصداقيته أنه بعد صدور الطبعة الأولى في بيروت سنة (١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩م) أشار الأستاذ المحقق صلاح الدين المنجد [٥٤] في كلمة له ألقاها في مجلة معهد المخطوطات العربية، أن عمل المقدسي" دقيق وجدير بكل تقدير".

وفيما بعد عاد المقدسي للحديث عن الرسائل سنة (١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥م) في بحث جديد ، وأشار إلى أن ما نشر وعرف ليس كل الرسائل معتمداً على دراسة كلود كاهن السابقة لها[٥٥]. ونوه إلى اطلاعه على مخطوطة (بيروت) معتمداً على بعض رسائلها في إعداد دراسته عن الدولة الأيوبية [٥٦] ، وكأنه يومئ إلى الباحثين للبدء من حيث انتهى .

(٢) نشرة هلال ناجي

قبل الحديث عن نشرة هلال ناجي لمخطوطة من مخطوطات الرسائل ، يجب القول أن هناك بعض الدراسات قد أشارت إلى هذه المخطوطة موضوعة النشر ونبهت إلى أهميتها وإن لم يلوح المحقق بذلك . أولى هذه الدراسات جاءت بقلم الأستاذ حبيب زيات [٥٧] سنة (١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩م) ، من تقديم للمخطوطة وإعطاء مواصفاتها والتعريف بمكان وجودها ، فضلاً عن عرضه لعناوين جميع الرسائل التي تضمنتها .

بعد ذلك جاءت ثلاث إشارات إلى نفس المخطوطة من قبل أنيس المقدسي ، الأولى منها سنة (١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦م) عندما قدم هو الآخر عرضه لمواصفات المخطوطة، بل أعرب عن نيته في تحقيقها وذلك قبل أن يعدل عن الفكرة ويباشر في تحقيق مخطوطة (اسطنبول)[٥٨]. والإلتفاتة الثانية له في مقدمة تحقيقه لمخطوطة (اسطنبول) سنة (١٣٧٩ هـ/١٩٥٩م)[٥٩] في حين جاءت إشارته الأخيرة سنة (١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م) عند اعتماده على بعض رسائلها في إعداد دراسته عن الدولة الأيوبية[٦٠] .

أصلها محفوظ في مكتبة يافث بالجامعة الأمريكية في بيروت ، تحت رقم (MS 89. 2.76 D62 TA) عدد أوراقها (١١٥) ورقة توفرت على (٢٣٠) صفحة [٦١]، متوسطة الحجم من الورق السميك الضارب إلى الصفرة وهي مكتوبة بالحبر الأسود بخط نسخي جيد ويفصل فقراتها بعضها عن بعض مثلثات من نقط حمراء [٦٢]، معدل عدد سطور الصفحة الواحدة (١٥) سطراً وتارة (١٤) سطراً [٦٣]وفيها سقط واحد بين الصفحتين (٢٢و٢٣) ذهبت به بقية الرسالة السابعة وبداية الثامنة ، كما أنه ليس هناك أي اشتراك أو تكرار بين هذه الرسائل وبين رسائل نشرة المقدسي[٦٤].

نشرت لاول مرة بشكل مطبوع محقق ، عدد رسائلها (٥٥) رسالة كلها من إنشاء ابن الأثير. وميزتها عن المجاميع المنشورة والتي ذكرنا إحداها سابقاً من قبل المقدسي والأخرى التي سوف يلي ذكرها من قبل القيسي وهلال ناجي انها جادت لنا برسالة كتبها الملك الأفضل جواباً عن رسالة كان ابن الأثير قد كتبها إليه من الموصل إلى حصن صرخد[٦٥]. بعبارة أخرى أنها الرسالة الوحيدة بقلم الملك الافضل من بين جميع الرسائل ال (٢٩٨) والتي مثلت مثار تندّر .

ورد أسم المؤلف على المخطوطة بشكل صريح ، فقد كتب على الصفحة الأولى بخط مختلف عن خط مجمل المخطوطة عبارة " الجزء الثاني من ترسل الصاحب ضياء الدين"[٦٦]. وفي الورقة الأخيرة كتب بخط مماثل لخط المخطوطة عبارة " تم الجزء الثاني من ترسل الصاحب ضياء الدين رحمه الله بتاريخ غرة صفر من سنة ست وخمسين وستمائة " (١٢٥٨م)[٦٧].

ومما تجدر الإشارة إليه ، هناك عبارة في ذيل المخطوطة ، بعد ما يبدو أنه محو فصل نهاية الجزء الثاني عن عبارة " كتاب كتبه إلى بعض غلمانه وقد أرسل على يده كتاباً فغرق في الفرات" ويتلوها بعد ذلك تحميد نصه " والحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه " [٦٨] . مما دفع بالأستاذ الزيات [٦٩] إلى الترجيح بأن العبارة أدرجها الناسخ هنا سهواً ، وهي عنوان أول رسائل الجزء الثالث الذي لا يعرف أي خزانة أم أرض اشتملت عليه . معتمداً في ذلك على ما ذكر سابقاً بأن الرسائل تقع في عدة مجلدات .

لكل رسالة في المخطوطة مقدمة وجيزة قدمها المحقق بشكل متميز طباعة ، وهي تبدو أقصر من سطور متن الرسالة ، ويبدو من صورة النسخة المخطوطة المعتمدة للنشر من قبل المحقق في بحثه أنه من عمل الناسخ وليس من اجتهاد المحقق ، وهذا الشيء يتواجد في جميع النشرات للرسائل. لكن يبقى باب الاحتمال مفتوحاً، من أنها قد تكون بإملاء من ضياء الدين ليقرأها الجمهور، وأغلب الظن أن ترقيم الرسائل جاء من اجتهاد المحقق وإن لم يصرح بذلك.

وبالرغم من وجود أسم المصنف في بداية المخطوطة ، ووجوده أيضاً في آخرها بخط مماثل للأصل. فإن المحقق لم يأل جهداً في إثبات صحة نسبتها لابن الأثير ، وساق أمثلة عديدة أهمها:

مناسبات الرسائل تكشف جانباً للحياة السياسية والاجتماعية والأدبية التي عاشها ابن الأثير[٧٠]. فضلاً عن الرسالة رقم (٤١) كانت موجهة إلى أخيه مجد الدين بن الأثير[٧١]. هذا إلى جانب وجود نصوص من هذه الرسائل أثبتها ابن الأثير في المثل السائر ونسبها لنفسه صراحة منها: تقليد بولاية دمشق[٧٢] ، ورسالة ثانية وصف فيها البرد وثلج الشتاء [٧٣] وهي ما تقطع بنسبة هذه الرسائل إليه .

شأنها شأن النشرة السابقة ، لم يراعَ فيها الترتيب الزماني أو المكاني أو الموضوعي. بل بدأت رسائل ضياء الدين وهو في الموصل ، وبعدها بقليل تقفز لتكشف جانباً من صراع الملك الأفضل الأخير مع عمه الملك العادل سنة (٥٩٩ هـ / ١٢٠٢م) ، ثم تعرّج إلى آخر عهده بسميساط[٧٤] سنة (٦٠٨ هـ / ١٢١١م) وبعدها تعود الرسالة الأخيرة مع الملك الفاضل في صرخد سنة (٥٩٣ هـ / ١١٩٧م) .

وأخيراً، فإن من أروع ما جادت به هذه المخطوطة في عرضها لجانب من مراسيم النظم والإدارة في الدولة الأيوبية، توفرت على ثلاثة نماذج ذات الارقام (٨ ، ٩ ، ٤٠). منها ما أشار لديوان الطراز وما ينطوي عليه من إجراءات ، فضلاً عن إصدار منشور بإلغاء المكوس والمظالم بدمشق حال تولي الملك الأفضل وأخيراً تناولها بالتفصيل لتقليد بولاية مدينة دمشق . بعبارة أخرى جاءت بمثابة تعريف لنمطية التفكير السياسي للملك الأفضل ومستشاريه مصاغة بقلم ضياء الدين بن الأثير .

(٣) نشرة نوري القيسي وهلال ناجي

قبل البدء بالحديث عن نشرة القيسي وهلال لمجموع مخطوطة أخرى من رسائل ابن الأثير يجب التنويه إلى أن هناك إشارة إلى مخطوطة هذه المجموعة من الرسائل كان قد أشار إليها كل من ليونز وجاكسون في كتابهما عن صلاح الدين سنة (١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢م) والذي ربما كان المؤلفان قد انتهيا من تأليفه سنة (١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧م) كما يرد في الإشارة في مقدمته[٧٥]. دون أن يقطعا أو يشيرا إلى أنها رسائل ضياء الدين بن الأثير وهذا التاريخ الأخير يبرر عدم عودة المؤلفين ، لو كانا راغبين أساساً في ذلك ، إلى نشرة القيسي وهلال التي صدرت سنة (١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢م) .

وهذه المخطوطة تنشر لأول مرة بشكل محقق مطبوع على يدي القيسي وهلال في السنة المذكورة أعلاه ، عدد رسائلها (٧٨) رسالة ، جميعها بقلم ضياء الدين بن الأثير ، لم يذكر عنوانها أو أسمها ولا أسم مؤلفها ، ولم يسجل عليها تاريخ نسخها وأسم ناسخها[٧٦]. أصلها محفوظ في مكتبة نور

عثمانية باسطنبول تحت رقم (٢٧٤٥) [٧٧]، وأشار المحققان إلى أنها أدرجت تحت رقم جديد آخر هو (٣٢٢٤)[٧٨].

عدد أوراق المخطوطة (١٠٠) ورقة بما في ذلك ورقة العنوان ومعدل سطورها (١٥) سطراً في الصفحة الأولى[٧٩]. فضلاً عن غياب عنوانها وأسم مصنفها فقد نعتت بكثرة تصحيفها وتحريفها ، ووقوع خلل في ترتيب الأوراق في مواضع عدة ، إلى جانب ظهور بياضات أو محو في بعض المواضع والتي يصعب معرفتها ، وقد أشار إليها المحققان في النشرة[٨٠].

وبالرغم من أن ليونز قد حاز قصب السبق في الإشارة إليها دون البت بنسبتها لأبن الأثير كما سبق ، إلا أن قراءته لها جاءت منتقاة ، بمعنى أنه أستشهد بما يختص بصلاح الدين مباشرة. مكتفياً بالقول أن مؤلفها شخص غادر الموصل ودخل خدمة الأفضل [٨١]، دونما تحديد لهويته أو اسمه وهو بذلك قد أبقى الباب مواراباً ولم يمتلك القناعة الكاملة للبت في نسبتها إلى ابن الأثير ولو أجهد نفسه قليلاً لأمكنه القول بملء فمه أنها لضياء الدين دون غيره. وهو ما قام به المحققان من رصد القرائن التي تقطع بنسبة الرسائل إليه ، وأهمها :

مناسبات الرسائل جاءت صورة للحياة السياسية والأدبية التي عاشها ابن الأثير والتي لا تختلط بغيرها من حيث الشخوص والأحداث[٨٣]. فضلاً عن ان الرسالة ذات الرقم (٣٨) [٨٣]هي نفسها التي ذكرها ابن خلكان [٨٤] بقوله "وله في كيفية خروجه مستخفياً رسالة طويلة ، شرح فيها حالة ، وهي موجودة في ديوان رسائله " . كما ارسل الرسالة ذات الرقم (٣٩) إلى أخيه مجد الدين بن الأثير[٨٥].

هذا إلى جانب وجود نصوص من هذه الرسائل أثبتها ابن الأثير في المثل السائر ونسبها لنفسه صراحة منها : ما ذكره في جملة رسالة يذم فيها الزمان في آخر أيامه بسميساط[٨٦]. كما أورد جانباً من رسالة كتبها للملك الأفضل يهنئه بملك مصر [٨٧]فضلا عن حضورها عند بعض المؤرخين مثل ابن واصل [٨٨] الذي أورد قطعة من رسالة لضياء الدين كتبها لبعض إخوانه عند الخروج من مصر واستيلاء الملك العادل عليها ، والتي تردد صداها عند ابن الفرات [٨٩] أيضاً .

وتتويجاً لما سبق من قرائن فإن هذه النشرة قد اشتركت في (٥) رسائل مع نشرة المجموعة السابقة بتحقيق هلال ، جاءت بنفس الغرض والمعنى[٩٠]، مع وجوب الإشارة إلى أنها لم تشترك قط في الـ (٧٣) رسالة الأخرى من المجموع مع تحقيق المقدسي السابق .

وهنا يجب الإشارة إلى أمر مفاده :

بالرغم من كل ما قام به المحققون من جهود حثيثة في تحقيق المخطوطات ، إلا أنه كان عليهم الإجابة على عدة تساؤلات تفرضها طبيعة الدراسة والبحث ، منها :

كيف جمع ابن الأثير رسائله ؟ هل قدحت في نفسه الفكرة ؟ وهل يذكر شيء عن كيفية اهتمامه بها وكتابتها ؟ أم هل جاء ذلك تقليداً ومحاكاة لأعمال سابقة [٩١] ؟ هل ترتيبها بهذا الشكل وجمعها جاء من قبل ابن الأثير نفسه ؟ أم انه تركها وجاء من تلامذته أو شيعته من قام بنسخها وجمعها ؟

ويبدو أن تركها – بعد وفاة المؤلف – قد عرض جزءاً منها للضياع والفقدان، فالاحتمال قائم بأن هناك مجلدات ناقصة لها. وبالتالي هناك مجموعة أخرى من الرسائل عالجت الفترة المبكرة من حياة ابن الأثير ، كأن تكون حياته في جزيرة ابن عمر مثلاً ، أو عالجت فترات لاحقة ، لعلها تمثلت بفقدان الرسائل التي كشفت علاقة الملك الأفضل مع أخيه الملك العزيز عثمان والتي يندر وجودها في النشرات الثلاث .

كما أن هناك مشاكل أخرى كان على المحققين حلها ، ومنها هل المحو والإسقاطات تعرض لها النساخ منذ الوهلة الأولى وأوردوها ناقصة كما هي ؟ أم هذا المحو جاء بعد أن كتبها الناسخ بفعل تقادم الزمن ؟ بعبارة أخرى هل المحو جاء قبل جمعها ونسخها أم بعده ؟

لماذا لم يرتب ضياء الدين رسائله ترتيباً زمنياً (بداية حياته ، الفترة الأخيرة في الموصل ... الخ) أو مكانياً (جزيرة ابن عمر ، الموصل ، دمشق ، صرخد ، القاهرة ، بغداد ... الخ) أو حسب الأحداث (صليبي ، أتابكي ، موصلي ، أيوبي ، ماهو خاص بديوان الخلافة ... الخ) ؟

أغلب الظن [٩٢]أن تتابع الرسائل كما هي في المخطوطات ، جاء اعتباطياً منتقى دون تزمين أو تمييز مكاني لمنشأ كتابتها ومعنى هذا أنها ربما تواردت بتداعي الذاكرة ، وهي توحي أنه جمعها ونقلها بمجرد جمع أوراق الرسائل إلى بعضها دون منهج .

وتشعرنا بصراحة التعبير عن نمطية المنهجية العربية القديمة في جمع الأخبار والمعلومات ، تماماً كما جاء في كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ [٩٣] من عدم وجود محاور أو مواضيع بعينها تتسلسل الروايات أو الرسائل في إطارها ، وبالتالي جاءت الرسائل وفي كثير من حالاتها تعبر عن غرض أدبي (قصص ، أشعار ،اخوانيات ، جلسات سمر ، نوادر) يجمعها مجرد كونها رسائل لأبن الأثير ، ولا نستطيع القول أنه غير مسؤول عن ذلك ، فغالباً أنه المسؤول فهو الذي فككها ووزعها ثم نقلها أو أملاها على من نقلها بهذه الصورة .

الهوامش

١. للمزيد من التفاصيل عن أغراض ومعاني الرسائل والجهات التي عنها وإليها انطلقت ، فضلاً عن تبيان موضوعاتها وتواريخها والكشف عن الحدث المعني لكل رسالة منها وهل جاءت رسمية أم خاصة ، وابتداءً أم جواباً . ينظر: علي حسين علي : رسائل ضياء الدين بن الاثير وقيمتها التاريخية ، رسالة دكتوراه غير منشورة (جامعة الموصل ، كلية التربية ، ٢٠٠٦) ،ص الملحق في نهاية الأطروحة.
٢. ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد ابن خلكان : وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق : احسان عباس (بيروت : دار صادر ، ١٩٧٧) ، ج٥ ، ص٣٩٢ .
٣. ذكرها الكثير من الكتاب العرب بعد ابن الأثير في سياق اقتباسهم من الرسائل نظير ابن الشعار الموصلي (ت ٦٥٤ هـ /١٢٥٦م) ، ابن واصل (ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٧م) ، اليونيني (ت ٧٢٦ هـ / ١٣٢٥م)، النويري (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١م) ، ابن الفرات (٨٠٧ هـ / ١٤٠٤م) والقلقشندي (ت ٨٢١ هـ /١٤٣١م). ولكن أياً منهم لم يقدم لنا معلومات عن مخطوط بعينه للرسائل أو أجزائه أو نسخه ولا تناوله بالدرس المتخصص. للمزيد من التفاصيل عن الاقتباسات من الرسائل من قبل المنشئين العرب ينظر : علي :رسائل ضياء الدين بن الاثير وقيمتها التاريخية ، ص١٤٦-١٤٨ .
٤. مارجوليوث : ولد وتوفي في لندن ، وقد تخرج باللغات الشرقية في جامعة إكسفورد ، وأتقن اللغة العربية وكتب فيها بسلاسة وأقام أستاذاً لها في جامعة إكسفورد سنة (١٣٠٧ هـ / ١٨٨٩م) وعد من أشهر أساتذتها . كما عمل رئيساً لتحرير مجلة الجمعية الملكية الآسيوية ونشر فيها بحوث قيمة ، وكان لآرائه قدرها لدى أدباء العرب المعاصرين . أنتخب عضواً في المجمع العلمي العربي في دمشق والمجمع اللغوي البريطاني ، والجمعية الشرقية الألمانية وغيرها . ترك العديد من الدراسات والابحاث والتحقيقات في الادب والتاريخ وغيرها من الدراسات المترجمة الأخرى ، ينظر : نجيب العقيقي : المستشرقون (القاهرة: دار المعارف ،١٩٦٥) ، ج٢ ص ٥١٨ .
٥. مكتبة البودليان : وهي مكتبة تابعة لجامعة اكسفورد ، أسست سنة (١٦٠٢م) من قبل العالم السياسي توماس بودلي بعد استقالته من الحكومة والذي افتتحها بـ (٢٠٠) كتاب ، ثم أغرى الكثيرين من أصدقائه بإهدائها فرائد المخطوطات ونفائس الكتب وحمّل الحكومة على تقديم نسخة لها من كل كتاب يطبع في البلاد . ثم ضمت إلها مجموعات مخطوطات نفيسة منها مكتبة بوكوك

(٤٢٠) مخطوطـاً ومجموعـة هنتجتـون (٨٨) مخطوطـاً أغلبهـا عربـي . ينظـر : العقيقـي : المستشرقون ، ج٢ ، ص ٤٥٢ .

٦. ومما يؤسف عليه ، رغم الجهود المبذولة من قبل الباحث تعذر عليه الحصول على نسخة من هذه الدراسة وبذلك جاءت معلوماته استناداً إلى التنويهات التي تركتها الدراسات اللاحقة ، للتفاصيل ينظر:

C. Cahen : " L a correspondance de Diyâ ad-Din ibn al-Athir list de letters et textes de diplomes ", BSOAS , Vo1. X1V , 1952 , p.34 ; Rosenthal, "Ibn al-athir" EI^2,Vol.III , p.725.

وينظر : أنيس المقدسي : " الدولة الايوبية في رسائل ابن الأثير " ، مجلة الأبحاث (بيروت : الجامعة الأمريكية ، ١٩٦٥) ، ج ٣-٤ ، ص٣٠٥ .

٧. لم يقدم مارجوليوث في بحثه هذا المواصفات الكاملة والدقيقة المعهودة في مواصفات مخطوط البودليان ، كما اننا لم نستطع الحصول على نسخة منها .

٨. حبيب زيات : " الجزء الثاني من ترسل الصاحب ضياء الدين بن الأثير " ، مجلة المشرق (بيروت : المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٣٩) ، ج٤ ، ص٤٥٥-٤٦٧ .

٩. المرجع نفسه ، ص٤٥٥ .

١٠. المرجع نفسه ، ص٤٥٥-٤٥٦ .

١١. كلود كاهن : ولد سنة (١٣٢٧ هـ / ١٩٠٩م) في فرنسا ، تخرج باللغات الشرقية من السوربون ومدرسة اللغات الشرقية ومدرسة المعلمين العليا . وعين محاضراً في مدرسة اللغات الشرقية في باريس سنة (١٣٥٧هـ/١٩٣٨م) وأستاذا التاريخ الاسلامي بجامعة ستراسبورغ سنة (١٣٦٥ هـ / ١٩٤٥م) وكذلك في جامعة باريس ، من أهم أعماله : المغول البلقان ، الجزيرة في اواسط القرن الثالث عشر ، نقلا عن عز الدين بن شداد وتواريخ العرب المتعلقة بسوريا ومصر والعراق منذ الفتح العربي الى الاحتلال العثماني ، وغيرها من الدراسات والتحقيقات في التاريخ الإسلامي. ينظر : العقيقي : المستشرقون ، ج١ ، ص٣٢٣ – ٣٢٤ .

12. Cahen : " La correspondence …" , p.34 .
13. Ibid, p.34.
14. Ibid, p.34.
15. Ibid, P.34.
16. Ibid, p.34.
17. Ibid, p.34.
18. Ibid, p.34.

وينظر المقدسي: الدولة الأيوبية في رسائل ابن الأثير، ص ٣٠٥-٣٠٦.

19. Cahen : " La correspondence … " , p.34 .
20. Cahen : " La correspondence … " , p.34.
21. Ibid , p.34 .
22. Ibid, pp.39-40 .

٢٣. كاميرون مالكولم ليونز : مستشرق إنكليزي ، تلميذ البورفسور آربري له اهتمامات بالدراسات العربية ولكن همه محصور قي الفلسفة البحتة . ينظر : كامل مصطفى الشيبي : " أستاذنا العلامة آربري لمناسبة مرور عشرين عاماً على وفاته"، مجلة الاستشراق (بغداد ، ١٩٩٠) ، ع٤ ، ص١٩١ .

24. M.C. Lyons and D. Jackson : Saladin (Camberidge : Camberidge University Press, 1982) , pp. 263-264, 302, 324.

٢٥. ديفيد جاكسون : أستاذ الدراسات العربية في جامعة (سانت أندروز) في اسكتلندا.

٢٦. هناك بحدود (١٥) إشارة واقتباس لـ (ليونز) من هذه المخطوطة وبالتالي شكلت واحداً من أبرز مصادر دراسته عن صلاح الدين. لمزيد من التفاصيل يراجع ملحق التعليقات والهوامش في نهاية الكتاب . ينظر:

Lyons: Saladin, pp.385-428 .

27. Ibid , p.385 .

٢٨. ينظر ما قاله في هامش رقم (٦): Lyons: Saladin, p.385

٢٩. ضياء الدين بن الاثير : رسائل ابن الاثير، تحقيق : نوري حمودي القيسي وهلال ناجي (الموصل :مطبعة جامعة الموصل ، ١٩٨٢) ، ص٥١-٥٢ . وسيرمز لها للاختصار ، نشرة (ق - هـ) .

٣٠. المصدر نفسه ، ص٢٥ . وللمزيد من التفاصيل ينظر : علي : رسائل ضياء الدين بن الاثير وقيمتها التاريخية ، ص٦٦-٧٦.

٣١. قام كلٌ من الدكتور ناصر عبد الرزاق الملا جاسم والدكتورة ميسون ذنون العباجي من جامعة الموصل في وقت سابق بإرسال نسخة من الرسائل التي حققها هلال ناجي والقيسي إلى المستشرق ليونز تنبيهاً على منطقية النسبة للرسائل إلى ابن الأثير ... .

32. Lyons : Saladin , pp.263-264 .

33. Ibid , p.302 .

34. Ibid , p.324 .

وتجدر الاشارة الى ان هناك مرجعاً اخر تناول جانباً من الرسائل. ينظر: محمد ياسين الحموي: دمشق في العصر الايوبي (دمشق : مكتبة النشر العربي ، ١٩٤٦)، ص٣٢ .

٣٥. أستاذ الأدب العربي في جامعة بيروت الأمريكية .

٣٦. أنيس المقدسي : " رسائل ابن الأثير " ، مجلة المجمع العلمي العربي (دمشق ، ١٩٥٦) مج ٣١ ، ج٣ ، ص ٥١٤ .

٣٧. المرجع نفسه والصفحة.

٣٨. مدير معهد المخطوطات في الجامعة العربية أنذاك .

٣٩. المقدسي : رسائل ابن الأثير ، ص ٥١٤-٥١٥ ؛ ضياء الدين بن الاثير : رسائل ابن الاثير، تحقيق : انيس المقدسي، مطبوعة بمساعدة المجمع العلمي العراقي (بيروت ، ١٩٥٩) ، ص٥-٦. وسيرمز لها للاختصار ، نشرة (م) .

٤٠. الرسائل ، نشرة (م) ، ص٥ .

٤١. سبق وأن نبهنا إلى أن مخطوطة (بيروت) كتب على غلافها أنها الجزء الثاني من ترسل الصاحب ضياء الدين .

٤٢. إذ ليس في المخطوطة أعلاه أية إشارة إلى كونها جزءً ذا رقم معين.

٤٣. الرسائل ، نشرة (م)، ص٥.

٤٤. وفيات الأعيان ، ج٥ ، ص٣٩٢.

٤٥. ضياء الدين بن الاثير : ديوان رسائل ضياء الدين بن الاثير ، تحقيق : هلال ناجي (الموصل : مطبعة جامعة الموصل ، ١٩٨٢) ، ص ٦٧ [مقدمة المحقق] وسيرمز لها للاختصار نشرة (هـ) .

٤٦. الرسائل ، نشرة (م) ، ص٥-٦ ؛ المقدسي : الدولة الأيوبية في رسائل ابن الأثير ، ص٣٠٥ . وهي نفسها مخطوطة طوبقو سراي التي أشار إليها كل من بروكلمان وكاهن وروزنثال . ينظر :

كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي،ترجمة :السيد يعقوب بكر ، مراجعة : رمضان عبدالتواب (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٥) ، ج٥ ، ص٢٧٤ :
Cahen : " La correspondance … ", p.34 ;
Rosenthal : "Ibn al-athir" , p.724 .

٤٧. الرسائل ، نشرة (م) ، ص٤٤ .
٤٨. المصدر نفسه ، ص٣٤ ، ٤٧ .
٤٩. المصدر نفسه ، ص ٤٩ ، ٧٢ .
٥٠. المصدر نفسه ، ص ١٤ .
٥١. المصدر نفسه ، ص ٣٨ ، ٥٨ ، ٨٢ ، ١٦٥ ، ١٨٨ .
٥٢. المصـــدر نفســـه ، ص ٢٩ ، ٤٣ ، ٦٠ ، ٩٠ ، ١١٩ ، ١٢٨ ، ١٨١ ، ٢٠٢ ، ٢٣٦ ، ٢٦٣ ، ٢٨٦ .
٥٣. كنموذج يكاد يكون نادر . ينظر : المصدر نفسه ، ص ٨٩ ، هامش ٤ .
٥٤. " رسائل ابن الأثير "، مجلة معهد المخطوطات العربية (جامعة الدول العربية ، ١٩٥٩) ، مج ٥ ، ج١، ص١٥٧-١٥٨ .
٥٥. المقدسي : الدولة الأيوبية في رسائل ابن الأثير ، ص ٣٠٥-٣٠٦ .
٥٦. المرجع نفسه ، ص ٣٠٥ –٣٣٥ .
٥٧. الجزء الثاني من ترسل الصاحب ضياء الدين ابن الأثير ، ص٤٥٥-٤٦٧ .
٥٨. المقدسي : رسائل ابن الاثير ، ص٥١٥ .
٥٩. الرسائل ، نشرة (م) ، ص٥-٦ .
٦٠. المقدسي : الدولة الأيوبية في رسائل ابن الأثير ، ص ٣٠٥-٣٣٥ . زيات: الجزء الثاني من ترسل الصاحب ضياء الدين بن الأثير ، ص٤٥٥ ؛ الرسائل ، نشرة (هـ) ، ٦٥ [مقدمة المحقق].
٦١. المقدسي: رسائل ابن الأثير ، ص٥١٥ .
٦٢. زيات: الجزء الثاني من ترسل الصاحب ضياء الدين بن الأثير ، ص٤٥٥ .
٦٣. الرسائل، نشرة (هـ) ، ص٦٥ ، ٦٧ .
٦٤. المصدر نفسه ، ص ١٩٦ .
٦٥. المصدر نفسه ، ص٦٥ . صرخد: قلعة حصينة وولاية حسنة واسعة ملاصقة لحوران من اعمال دمشق. ينظر :شهاب الدين عبدالله ياقوت الحموي : معجم البلدان (بيروت : دار بيروت ، دار صادر ، ١٩٥٥) ، ج١ ، ص٤٠١ .
٦٦. الرسائل، نشرة (هـ) ، ص٦٥ .
٦٧. زيات: الجزء الثاني من ترسل الصاحب ضياء الدين بن الأثير ، ص ٤٥٥ ؛ الرسائل ، نشرة (هـ) ، ص ٦٥ [مقدمة المحقق].
٦٨. زيات : الجزء الثاني من ترسل الصاحب ضياء الدين بن الأثير ، ص ٤٥٥ .
٦٩. المرجع نفسه والصفحة.
٧٠. الرسائل ، نشرة (هـ) ، ص٦٦.
٧١. المصدر نفسه ، ص ١٦٥ .
٧٢. المصدر نفسه ، ص١٥٧ . وينظر : المثل السائر ، ج٤ ، ص٢٤٩ .
٧٣. الرسائل ، نشرة (هـ) ص١٠٤-١٠٥ . وينظر : المثل السائر ، ج٤ ، ص٢١٨ .
٧٤. سميساط : مدينة على شاطئ الفرات ، طرف بلاد الروم على غربي الفرات ، ولها قلعة في شق منها يسكنها الارمن . ينظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٣ ، ص٢٥٨ .
75. Lyons : Saladin , p. I .

٧٦. الرسائل ، نشرة (ق - هـ) ، ص٥١ .
77. Lyons : Saladin , p.385 .
٧٨. الرسائل ، نشرة (ق - هـ) ، ص٥١ .
٧٩. المصدر نفسه ، ص٥٣ .
٨٠. المصدر نفسه ، ص٥٣-٥٤ .
81. Lyons : Saladin , p.385 .
٨٢. الرسائل ، نشرة (ق - هـ) ، ص٥٢ .
٨٣. المصدر نفسه ، ص١١٣ .
٨٤. وفيات الأعيان ، ج٥ ، ص٣٩١ .
٨٥. الرسائل ، نشرة (ق - هـ) ، ص١١٦ .
٨٦. المصدر نفسه ، ص١٣٨ . وينظر : المثل السائر ، ج١ ، ص١٣٢ .
٨٧. الرسائل ، نشرة (ق - هـ) ، ص٩٠ . وينظر : المثل السائر ، ج١ ، ص٢٦٨ .
٨٨. جمال الدين محمد بن سالم بن واصل : مفرج الكروب في اخبار بني ايوب ،تحقيق: جمال الدين الشيال (القاهرة : مطابع دار القلم ، ١٩٦٥) ، ج٣ ، ص١١٢ .
٨٩. ناصر الدين محمد بن عبد الرحمن بن الفرات : تاريخ الدول والملوك (الشهير بـ تاريخ ابن الفرات) ، تحرير : حسن محمد الشماع (البصرة : دار الطباعة الحديثة ، ١٩٦٩) ، مج ٤ ، ج٢ ، ص ١٧٤-١٧٥ .
٩٠. للمزيد من التفاصيل . ينظر :
(أ) الرسائل ، نشرة (ق - هـ) ، ص ٩٦؛ الرسائل نشرة (هـ) ، ص ١٨٧ .
(ب) الرسائل ، نشرة (ق - هـ) ، ص٩٧؛ الرسائل نشرة (هـ) ، ص١٨٩ .
(ج) الرسائل ، نشرة (ق - هـ) ، ص٩٧ ؛ الرسائل نشرة (هـ) ، ص١٩٠ .
(د) الرسائل ، نشرة (ق - هـ) ، ص١٠٣ ؛ الرسائل نشرة (هـ) ، ص١٩٢ .
(هـ) الرسائل ، نشرة (ق - هـ) ، ص١٠٥؛ الرسائل نشرة (هـ) ، ص١٩٤ .
٩١. مثال ذلك رسائل جلال الدين ابي الحسن علي بن الوزير جمال الدين محمد بن علي (ت ٥٧٤ هـ / ١١٧٨م) والذي ذكر ابن خلكان بأن شاهد له ديوان رسائل أجاد فيه ، جمعه مجد الدين بن الأثير وسماه " الجواهر واللآلي من الإملاء المولوي الوزيري الجلالي " . ينظر : وفيات الأعيان ، ج٥ ، ص ١٤٦ .
٩٢. وذلك بعد الجزم من أن ضياء الدين بن الأثير لم يشير إلى كيفية جمعه وترتيبه للرسائل ، في عموم النشرات الثلاث لها .
٩٣. أتى كتاب الاعتبار على ذكر عدة أغراض أرادها مؤلفه ، تنوعت بين الحروب والأسفار وقتال الافرنج وما إنطوى عليه من أحداث ، فضلاً عن إشارته لجانب من سيرة حياة أسامة ، كما أشتمل الكتاب على طرائف ونوادر متنوعة وعلى أخبار الصيد وغيرها ، وبالتالي مثل الكتاب وثيقة حية من وثائق الحروب الصليبية. ينظر: مؤيد الدولة أبو المظفر أسامة بن منقد : كتاب الاعتبار ، تحقيق : فيليب حتي (برنستون : مطبعة جامعة برنستون، ١٩٣٠)

المصادر والمراجع

اولاً . المصادر :

ابن الاثير ، ضياء الدين ابي الفتح نصر الله بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت ٦٣٧هـ /١٢٣٩م):

١. رسائل ابن الاثير ، تحقيق : انيس المقدسي ، مطبوعة بمساعدة المجمع العلمي العراقي (بيروت ، ١٩٥٩).
_ رسائل ابن الاثير ، تحقيق : نوري حمودي القيسي وهلال ناجي (الموصل : مطبعة جامعة الموصل، ١٩٨٢).
_ ديوان رسائل ضياء الدين بن الاثير ، ج٢ ، تحقيق : هلال ناجي (الموصل : مطبعة جامعة الموصل، ١٩٨٢).
٢. المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد(القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٩٣٩).

ابن خلكان ، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) :
٣. وفيات الاعيان و انباء ابناء الزمان ، تحقيق : احسان عباس (بيروت: دار صادر، ١٩٧٧).

ابن الفرات ، ناصر الدين محمد بن عبد الرحمن (ت٨٠٧هـ/١٤٠٤م):
٤. تاريخ الدول و الملوك (الشهير بتاريخ ابن الفرات) مج٤،ج٢،تحرير : حسن محمد الشماع (البصرة : دار الطباعة الحديثة ، ١٩٦٩).

ابن منقذ، مؤيد الدولة ابو المظفر اسامة (ت٥٤٨ هـ / ١١٨٨م):
٥. كتاب الاعتبار، تحقيق : فيليب حتي (برنستون : مطبعة جامعة برنستون ،١٩٣٠).

ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم (ت٦٩٧هـ/١٢٩٧م):
٦. مفرج الكروب في اخبار بني ايوب ،ج٣،تحقيق : جمال الدين الشيال (القاهرة: مطابع دار القلم ، ١٩٦٠).

ياقوت الحموي، شهاب الدين عبد الله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م):
٧. معجم البلدان (بيروت : دار بيروت ، دار صادر ، ١٩٥٥).

ثانياً . المراجع العربية والمعربة:

بروكلمان ، كارل :
١. تاريخ الادب العربي ، ترجمة : السيد يعقوب بكر ، مراجعة : رمضان عبد التواب (القاهرة: دار المعارف ، ١٩٧٥).

الحموي ، محمد ياسين :
٢. دمشق في العصر الايوبي (دمشق : مكتبة النشر العربي ، ١٩٤٦).

العقيقي ، نجيب :
٣. المستشرقون (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٥).

ثالثاً . الرسائل الجامعية :

علي ، علي حسين :
١. رسائل ضياء الدين بن الاثير وقيمتها التاريخية، رسالة دكتوراه غير منشورة (جامعة الموصل ، كلية التربية ، ٢٠٠٦).

رابعاً . البحوث والدراسات :

زيات ، حبيب :
١. " الجزء الثاني من ترسل الصاحب ضياء الدين بن الاثير "، مجلة المشرق، ج٤ (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ١٩٣٩)
الشيبي ، كامل مصطفى :
٢. " استاذنا العلامة اربري لمناسبة مرور عشرين عاما على وفاته "، مجلة الاستشراق، ع٤ (بغداد،١٩٩٠).

المقدسي ، انيس :
٣. " الدولة الايوبية في رسائل ابن الاثير "، مجلة الأبحاث، ج ٣-٤ (بيروت: الجامعة الامريكية، ١٩٦٥).
٤. " رسائل ابن الاثير " ، مجلة المجمع العلمي العربي ، مج٣١ ، ج٣ (دمشق،١٩٥٦).

المنجد ، صلاح الدين :
٥. " رسائل ابن الاثير "، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج٥، ج١ (جامعة الدول العربية، ١٩٥٩).

خامساً . الدراسات الاجنبية :

Cahen, C. :
1. " La correspondance de Diyâ ad-Din ibn al-Athir list de letters et textes de diplomes ", BSOAS , Vo1. X1V , 1952.
Lyons, M.C. and Jackson, D. :
٢. Saladin : The Politics of The Holy War (Camberidge : Camberidge University Press, 1982).
Rosenthal, F. :
3. " Ibn al - athir" EI^2, Vol. III.

Dr. Ali Hessein Ali
Instructor
Unversity of Kirkuk
college of Education

ABSTRACT

The letters investigated in this thesis are the composition of a first-class man-of-letters and rhetorician whose competence at politics and statesmanship is equally remarkable. This figure is Diya' Al- Din Ibn 'l-Athir who belongs to the Arab Shaibani family of Ibun'l- Athir who lived in Mousl and its peripheries and occupied a primacy of place during the transitional period between the sixth and the seventh centuries of Hijra-the twentieth and the thirteenth centuries A.D., particularly in the Atabeg administrations of Mosul, Aleppo and Damascus.

In fact, those letters have not been previously studied to reveal their historical significance and the few attempts at that were rather incomplete for they failed to place them within their historical framework. It is our conviction that these letters harbour a paramount historical significance that would come to surface in reading them between the lines as the reader would observe from our treatment of this lengthy compositions thronghout our thesis. As is the case with so many theses tackling subtle topics, the first who paid due attention to these letters were the orientalists beginning with Margoliouth and ending with C.Calhen besides some other Arab scholars such as Anis Al-Maqdisi who investigated those letters for their relevance to the Ayyubid period as a matter of course as he started the recension of some towards the completion of all. Be it what it may, all these efforts remain rudementary standing at the threshold of a much more perfect and thorough work. Thus the need for an objective, interpretive and precise investigation of these letters has been frequently stressed for the scholarship on this period and region (the upper Euphates, region and Syria) still lacks so many details particularly as it is set off against the profusion of references on this period and region.